إخباره ﷺ بالغيب فيكون كما أخبر

١

يوم بدر

كان المسلمون قلة وكانوا يفرون بدينهم من مكان إلى آخر لا يستطيعون حماية أنفسهم.. يفر المؤمنون إلى الحبشة(١).. ويذهب رسول اللّه ﷺ إلى الطائف مستجيراً بأهلها من كفار مكة(٢).. ثم ينزل القرآن الكريم بقول اللّه سبحانه وتعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾(٣) [القمر: ٤٥].

---

(١) قال ابن هشام: لما رأى رسول اللّه ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من اللّه، ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء. قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق، حتى يجعل اللّه لكم فرجاً مما أنتم فيه»، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول اللّه ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة أو فراراً إلى اللّه بدينهم، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام.

سيرة ابن هشام [١/ ٤٠٨]

(٢) قال ابن هشام: قال ابن إسحاق: ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول اللّه ﷺ من الأذى ما لم تكن نالت منه في حياة عمه أبي طالب، فخرج رسول اللّه ﷺ إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من اللّه عزّ وجلّ، فخرج إليهم وحده.

السيرة النبوية [٢/ ٣٢، ٣٣]

(٣) قال القرطبي: عن ابن عباس: كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين، فالآية على هذا مكية.

وقال القرطبي: وهذا من معجزات النبي ﷺ لأنه أخبر عن غيب فكان كما أخبر.

تفسير القرطبي [١٧/ ١٤٦]

وأخرج البخاري بسنده عن ابن عباس أن النبي ﷺ، قال وهو في قبة له يوم بدر: =

obeikandl.com

ويعجب عمر بن الخطاب رضي اللَّه تعالى عنه ويقول: أي جمع هذا ونحن لا نستطيع أن نحمي أنفسنا، هل نحن سنهزم هذا الجمع الكبير الذي يقف ضدنا؟! ثم تأتي غزوة بدر، ويرى عمر بن الخطاب رضي اللَّه تعالى عنه بعينيه الجمع يهزم، ويراهم وهم يفرون، ويقول رضي اللَّه تعالى عنه: صدق اللَّه العظيم: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ (١).

= «أنشدك عهدك ووعدك. اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبداً» فأخذ أبو بكر بيده وقال: حسبك يا رسول اللَّه، فقد ألححت على ربك. وهو يثب في الدرع ـ فخرج وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٥، ٤٦].

البخاري [٤٨٧٥]

(١) قال ابن سعد: وقال عمر لما نزلت: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ قال: قلت: وأي جمع يهزم ومن يُغلب؟ فلما كان يوم بدر نظرت إلى رسول اللَّه ﷺ يثب في الدرع وثباً وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾، فعلمت أن اللَّه تبارك وتعالى، سيهزمهم.

طبقات ابن سعد [١/ ٢٥]

obeikandl.com

٢

هزيمة الفرس وانتصار الروم

كان بين الروم والفرس حرب، والفرس كانوا يعبدون النار، والروم أهل كتاب، ولما بلغ الرسول ﷺ والصحابة أن الروم هزموا، حزنوا(١)، لأن أمة كافرة هزمت أمة من أهل الكتاب، فينزل القرآن الكريم المتعبد بتلاوته، ولا يتغير، ولا يتبدل إلى يوم القيامة، بقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾(٢) [الروم: ١ ـ ٤].

---

(١) قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾: ذكر أهل التفسير في سبب نزولها أنه كان بين فارس والروم حرب، فغلبت فارس الروم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ وأصحابه، فشق ذلك عليهم، وفرح المشركون بذلك، لأن فارس لم يكن لهم كتاب، وكانوا يجحدون البعث ويعبدون الأصنام، والروم أصحاب كتاب، فقال المشركون لأصحاب رسول الله ﷺ: إنكم أهل الكتاب، والنصارى أهل كتاب، ونحن أميون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم، فإن قاتلتمونا لنظهرن عليكم، فنزلت هذه الآية.
زاد المسير [٦/ ١٤١]

(٢) قال القرطبي: وقرأ الجمهور ﴿غَلَبَتۡ﴾ بضم الغين وقالوا: معنى الآية أنه طرأ بمكة أن الملك كسرى هزم جيش ملك الروم قال مجاهد: في الجزيرة وهو موضع بين العراق والشام، وقال عكرمة: وهي بين بلاد العرب والشام، وقال مقاتل: بالأردن وفلسطين، فلما طرأ ذلك سر الكفار فبشر الله عباده بأن الروم ﴿سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ وتكون الدولة لهم في الحرب، وقرأ أبو سعيد الخدري وعلي بن أبي طالب، ومعاوية بن قرة، وعبد الله بن عمر، غَلَبتِ الروم بفتح الغين واللام، وتأويل ذلك أن الذي طرأ يوم بدر إنما كان أن الروم غلبت، فعز ذلك على كفار قريش وسر المسلمون فبشر الله تعالى عباده بأنهم ﴿سَيَغۡلِبُونَ﴾ أيضاً ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ ذكر هذا التأويل أبو حاتم، والرواية الأولى والقراءة بضم الغين أصح، وأجمع الناس على ﴿سَيَغۡلِبُونَ﴾ أنه بفتح الياء يريد به الروم، وروي عن ابن عمرو أنه قرأ أيضاً سيُغلبون بضم الياء، وفي هذه القراءة قلب للمعنى الذي تظاهرت الروايات به، و﴿أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ معناه أقرب الأرض، فإن كانت الوقعة في أذرعات فهي من ﴿أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ بالقياس إلى مكة وهي التي ذكر امرؤ القيس في قوله: تنورتها من أذرعات وأهلها بيثرب أدنى دارها نظر عال. =

= وإن كانت الوقعة بالجزيرة فهي ﴿أَدْنَى﴾ بالقياس إلى أرض كسرى، وإن كانت بالأردن فهي ﴿أَدْنَى﴾ إلى أرض الروم، قال أبو حاتم: وقرئ: ﴿أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾، وقرأ جمهور الناس ﴿غَلَبِهِمْ﴾ بفتح اللام كما يقال أحلب حلباً لك شطره، وقرأ ابن عمر بسكونها وهما مصدران بمعنى واحد، وأضيف إلى المفعول، وروي الروم ﴿سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ أي من الثلاثة إلى التسعة على مشهور قول اللغويين. كأنه تبضيع العشرة أي تقطيعها، وقال أبو عبيدة: من الثلاث إلى الخمس، وقوله مردود، فلما بشرهم بذلك خرج أبو بكر الصديق إلى المسجد فقال لهم: أسرَّكم إن غلبت الروم فإن نبينا أخبرنا عن اللَّه تعالى أنهم ﴿سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ فقال له أبي بن خلف وأمية أخوه ـ وقيل أبو سفيان بن حرب ـ: تعال يا أبا فصيل ـ يعرضون بكنيته بالبكر ـ فلنتناحب، أي نتراهن في ذلك، فراهنهم أبو بكر، قال قتادة: وذلك قبل أن يحرم القمار، وجعل الرهن خمس قلائص، والأجل ثلاث سنين، فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال له: «إن البضع إلى التسعة ولكن زدهم في الرهن واستزدهم في الأجل»، ففعل أبو بكر فجعلوا القلائص مائة والأجل تسعة أعوام، فغلبت الروم في أثناء الأجل، فروي عن أبي سعيد الخدري أن إيقاع الروم بالفرس كان يوم بدر، وروي أن ذلك كان يوم الحديبية، وأن الخبر بذلك وصل يوم بيعة الرضوان، روي نحوه عن قتادة، وفي كلا اليومين كان نصر من اللَّه تعالى للمؤمنين، وذكر الناس أن سبب سرور المسلمين بغلبة الروم وهمهم أن تغلب، وكون المشركين من قريش على ضد ذلك، إنما هو أن الروم أهل كتاب كالمسلمين، والفرس أهل الأوثان أو نحوه من عبادة النار ككفار قريش والعرب.

قال القاضي أبو محمد: ويشبه أن يعلل ذلك بما تقتضيه الفطرة من محبة أن يغلب العدو الأصغر لأنه أيسر مؤنة ومتى غلب الأكبر كثر الخوف منه، فتأمل هذا المعنى مع ما كان رسول اللَّه ﷺ ترجاه من ظهور دينه وشرع اللَّه الذي بعثه به وغلبته على الأمم وإرادة كفار مكة أن يرميه اللَّه بملك يستأصله ويريحهم منه. و﴿سِنِينَ﴾، يجمع كجمع من يعقل عوضاً من النقص الذي في واحده، لأن أصل سنة سنهة أو سنوة، وكسرت السين منه دلالة على أن جمعه خارج عن قياسه ونمطه، ثم أخبر تعالى بانفراده بالقدرة وأن ما في العالم من غلبة وغيرها إنما هي منه وبإرادته وقدره، فقال: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ﴾ أي إنفاذ الأحكام ﴿مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ أي من بعد هذه الغلبة التي بين هؤلاء القوم، و﴿قَبْلُ﴾ و﴿بَعْدُ﴾ ظرفان بنيا على الضم لأنهما تعرّفا بحذف ما أضيفا إليه، وصارا متضمنين ما حذف فخالفا معرب الأسماء وأشبها الحروف في التضمين، فبينا وخصا بالضم لشبههما بالمنادى المفرد في أنه إذا أنكر أو أضيف زال بناؤه؛ وكذلك هما، فضما كما المنادى مبني على الضم، وقيل في ذلك أيضاً أن الفتح تعذر فيهما؛ لأنه حالهما في إظهار ما أضيفا إليه، وتعذر الكسر لأنه حالهما عند إضافتهما إلى المتكلم، وتعذر السكون لأن=

ومعنى ﴿بِضْعِ سِنِينَ﴾: البضع من الثلاث إلى التسع[١]. فكيف يستطيع محمد وهو الأمي، الذي لم يقرأ ولم يكتب وبالتالي فهو غير عالم بالحضارات الأخرى وثقافتها يتنبأ بنتيجة معركة بين الأمتين العظمتين في ذاك الوقت كالفرس والروم. ولو كانت المعركة ستحدث غداً مثلاً، لقيل: ربما بلغته أنباء عن مدد سيأتي للروم ويغلب به الفرس؛ ولكن المعركة ستحدث بعد تسع سنين، من الذي يستطيع أن يتنبأ معركة ستقع بعد تسع سنين بين أمتين عظمتين؟ لا أحد يقدر إلا اللّه سبحانه وتعالى أو شخص يخبره اللّه تعالى بذلك.

ولذلك عندما نزلت هذه الآية الكريمة تحدى الكفار المؤمنين. وقالوا: لن يحدث هذا، حتى أن أبا بكر راهن عدداً من الكفار أن ذلك سيحدث بعد ست سنين، وعندما بلغ ذلك رسول اللّه ﷺ قال لأبي بكر: ألا احتطت فإن البضع من السبع إلى التسع[٢]. وقال له النبي ﷺ زدهم في الرهان واستزدهم في الأجل ثم

= ما قبل أحدهما ساكن، فلم يبق إلا الضم فبنيا عليه، ومن العرب من يقول: ﴿مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ بالخفض والتنوين.

قال الفراء: ويجوز ترك التنوين فيبقى كما هو في الإضافة وإن حذف المضاف، وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ يحتمل أن يكون عطفاً على القبل والبعد، كأنه حصر الأزمنة الثلاثة الماضي والمستقبل والحال، ثم ابتدأ الإخبار بفرح المؤمنين بالنصر، ويحتمل أن يكون الكلام تم في قوله: ﴿بَعْدِ﴾، ثم استأنف عطف جملة أخبر فيها أن يوم غلبت الروم الفرس ﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ﴾، وعلى هذا الاحتمال مشى المفسرون، والنصر الذي ﴿يَفْرَحُ﴾ به ﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ يحتمل أن يشار فيه إلى نصر الروم على فارس، وهي نصرة الإسلام بحكم السببين اللذين قد ذكرتهما، ويحتمل أن يشار فيه إلى نصر يخص المؤمنين على عدوهم، وهذا أيضاً غيب أخبر به وأخرجه الوجود، إما يوم بدر وإما يوم بيعة الرضوان.

تفسير القرطبي [١٤/ ١ ـ ٧] بتصرف

(١) «البضع» في العدد: من الثلاث إلى التسع. تقول: بضعة رجال وبضع نساء، ويركب مع العشرة، فتقول: بضعة عشر رجلاً، وبضع عشرة امرأة. وكذلك يستعمل مع العقود، فتقول بضعة وعشرون رجلاً، وبضعٌ وعشرون امرأة. ولا يستعمل مع المائة والألف، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢].

المعجم الوسيط [١/ ٦٢]

(٢) قال ابن الجوزي: لما نزلت هذه الآية، خرج بها أبو بكر الصديق إلى المشركين، فقالوا: هذا كلام صاحبك، فقال: اللّه أنزل هذا، فقالوا لأبي بكر: نراهنك على أن الروم لا تغلب فارس، فقال أبو بكر: البضع ما بين الثلاث إلى التسع، فقالوا: الوسط =

نُهي عن الرهان في الإسلام، وكان رهان أبي بكر موثوقاً منه، إن الكلام هو كلام اللَّه تعالى، والمبالغ هو رسول اللَّه ﷺ.

وتحقق كلام اللَّه وصدق رسوله ﷺ وانتصر الروم على الفرس. وفرح المؤمنون بذلك.

نزلت الآية ثم جاء تأويلها بأن حدثت بما لم يكن يعلمه أو يتوقعه بشر؛ لتعطينا إعجازاً بأن القرآن العظيم كلام مالك الملك، والذي تأتي كل الأحداث وفق ما شاء وقال وحدد. ولنتصور ماذا يمكن أن يحدث لو أن الروم والفرس تصالحتا، أو أنه هُزمت الروم مرة أخرى. ألم يكن هذا كافياً لهدم قضية الدين من أساسها؟ أكنا نستطيع أن نقرأ اليوم سورة الروم؟ إن الذي يقول هو: اللَّه سبحانه وتعالى القادر على إنفاذ ما يقول وحده. والمبلغ هو رسول اللَّه ﷺ الصادق الوعد الأمين.

❁ ❁ ❁

= من ذلك ست، فوضعوا الرهان وذلك قبل أن يحرم الرهان، فرجع أبو بكر إلى أصحابه فأخبرهم، فلاموه وقالوا: هلا أقررتها كما أقرها اللَّه تعالى لو شاء أن يقول ستاً، لقال! فلما كانت سنة ست، لم تظهر الروم على فارس، فأخذوا الرهان فلما كانت سنة سبع ظهرت الروم على فارس. وروى ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ ناصب أبو بكر قريشاً فقال له رسول اللَّه ﷺ: ألا احتطت، فإن البضع ما بين السبع والتسع».

زاد المسير [٦/ ١٤١، ١٤٢]

openkandl.com

٣

كروية الأرض

جعل اللَّه سبحانه وتعالى منهج رسوله محمد ﷺ معجزة متجددة، فالقرآن له عطاء لكل جيل، وهناك أشياء بينَّها رسول اللَّه ﷺ وشرحها وفسرها تفسيراً دقيقاً، كالتي تتعلق بالتوحيد، وإفراد اللَّه تعالى بالعبودية، وكذلك ما يتعلق بالعبادات والمعاملات، فقال ﷺ: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، وقال: «خذوا عني مناسككم»... إلخ، ولكن هناك آيات من القرآن الكريم شاء اللَّه تعالى ألا يكشف عن شيء من أسرارها في بدء الدعوة لتبين إعجاز القرآن لكل جيل، كذلك ما يمضي زمن إلا وتظهر معجزة جديدة للقرآن لم نكن نلتفت إليها.

فعندما اكتشفت كروية الأرض، تبيَّنا أن القرآن الكريم كان أول من أشار إليها في خلق الليل والنهار. ولقد أشار هذا الكتاب إلى كروية الأرض ودورانها حول نفسها في آية واحدة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾[1] [الفرقان: ٦٢].

---

(١) قال البغوي: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ اختلفوا فيها:

قال ابن عباس والحسن وقتادة: يعني خلفاً وعرضاً يقوم أحدهما مقام صاحبه، فمن فاته عمله في أحدهما قضاه في الآخر.

قال شقيق: جاء رجل إلى عمر بن الخطاب، قال: فاتتني الصلاةُ الليلة، فقال: أدرك ما فاتك من ليلتك في نهارك، فإن اللَّه عز وجل جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكَّر.

قال مجاهد: يعني جعل كل واحد منهما مخالفاً لصاحبه، فجعل هذا أسود وهذا أبيض.

وقال ابن زيد وغيره: يعني يخلف أحدهما صاحبه، إذا ذهب أحدهما جاء الآخر، فهما يتعاقبان في الضياء والظلمة، والزيادة والنقصان.

﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ ...﴾ أي: يتذكر ويتعظ ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ قال مجاهد: أي شكر نعمة ربه عليه فيهما.

معالم التنزيل [٦/ ٩٣]

والشيء يخلف الشيء، أي: يأتي بعده تماماً كدوريات الحراسة[١]. . دورية تخلف دورية. أو ورديات العمل في المصانع كل منها تخلف الأخرى. ولكن لا بدّ من بداية في كل هذا، فتكون الدورية الأولى للحراسة لا تخلف من سبقها. وتكون الوردية الأولى في المصنع عندما يبدأ العمل لا تخلف وردية أخرى لأنها بداية العمل في المصنع.

ولكن الحق سبحانه وتعالى قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً﴾[٢]. ولا يتم هذا إلا إذا خلق الليل والنهار معاً على سطح الأرض، ولا يحدث ذلك إلا إذا كانت الأرض كروية، ففي ساعة الخلق يوجد الليل والنهار على الأرض في لحظة واحدة، فيكون كل منهما خلفة للآخر، ولا يخلف الليل النهار إلا إذا كانت الأرض تدور حول نفسها، فلو أن الأرض ثابتة لبقي الجزء المنير نهاراً دائماً، وبقي الجزء المظلم ليلاً دائماً.

إذاً. . فلا بدّ من حركة دوران للأرض. لذلك تقرأ في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾[٣] [ق: ٧]، أي: بسطناها.

عندما نزل القرآن الكريم أخذ الناس معنى هذه الآية على أساس أن الأرض أمامهم مبسوطة، وعندما تقدم العلم وكشف الله لنا أن الأرض كروية؛ وجدت عقولنا كروية الأرض مسجلة في هذه الآية. فالحق حين قال: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾

---

(١) قال القرطبي: قال أبو عبيدة: الخلفة كل شيء بعد شيء. وكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه. ويقال للمبطون: أصابته خلفة؛ أي قيام وقعود، يخلف هذا ذاك. ومنه خلفة النبات، وهو ورق يخرج بعد الورق الأول في الصيف.

ومن هذا المعنى قول زهير بن أبي سُلمى:

بها العين والآرام يمشين خِلفةً وأطلاؤها ينهض من كل مجثم

تفسير القرطبي [١٣/ ٦٥]

(٢) قال الشوكاني: قال الفراء في تفسير الآية: يقول: يذهب هذا ويجيء هذا، وقال مجاهد: خلفة من الخلاف، هذا أبيض وهذا أسود.

وقيل: يتعاقبان في الضياء والظلام والزيادة والنقصان. وقيل: هو من باب حذف المضاف، أي: جعل الليل والنهار ذوي خلفة أي اختلاف.

فتح القدير [٤/ ٨٤]

(٣) قال الماوردي: قوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا﴾ أي: بسطناها.

النكت والعيون [٥/ ٣٤١]

لم يقل: أي أرض، ومعنى ذلك أنك إذا نزلت في أي مكان ترى الأرض أمامك منبسطة في خط الاستواء، تراها منبسطة في القطب الشمالي، تراها منبسطة في القطب الجنوبي. وهذا لا يمكن أن يحدث إلا إذا كانت الأرض كروية، فإذا كانت مربعة أو مسدسة أو على شكل آخر لوصلت فيها إلى حافة ليس بعدها أرض منبسطة أمامك، ولكن كونك في كل مكان تصل إليه ترى الأرض منبسطة أمامك، فذلك لا يمكن أن يحدث إلا إذا كانت الأرض كروية.

وهكذا أعطى القرآن للناس على قدر عقولهم وقت نزوله، وأعطانا على قدر عقولنا في هذا العصر.

وقول الحق: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾[1] [الزمر: ٥].

أي: يكور النهار على شكل كرة، وكذلك الليل، وأنهما يدوران معاً حول

---

(١) قال ابن الجوزي: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ﴾ قال أبو عبيدة: يُدْخِلُ هذا على هذا، قال ابن قتيبة: وأصل التكوير اللفُّ، ومنه كور العمامة. وقال غيره: التكوير: طَرْحُ الشيء بعضه على بعض.

زاد المسير [٥/ ٧]

وقال سيد قطب في تأويل قوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾:

هو تعبير عجيب يفسر الناظر فيه قسراً على الالتفات إلى ما كشف حديثاً عن كروية الأرض ومع أنني في هذا الظلال حريص على ألا أحمل القرآن على النظريات التي يكشفها الإنسان، لأنها نظريات تخطئ وتصيب، وتثبت اليوم وتبطل غداً. والقرآن حق ثابت يحمل آية صدقه في ذاته، ولا يستمدها من موافقة أو مخالفة لما يكشفه البشر الضعاف المهازيل!

مع هذا الحرص فإن هذا التعبير يقسرني قسراً على النظر في موضوع كروية الأرض فهو يصور حقيقة مادية ملحوظة على وجه الأرض. فالأرض كروية تدور حول نفسها في مواجهة الشمس؛ فالجزء الذي يواجه الشمس من سطحها المكور يغمره الضوء ويكون نهاراً. ولكن هذا الجزء لا يثبت لأن الأرض تدور. وكلما تحركت بدأ الليل يغمر السطح الذي كان عليه النهار. وهذا السطح مكور فالنهار كان عليه مكوراً والليل يتبعه مكوراً كذلك. وبعد فترة يبدأ النهار من الناحية الأخرى يتكور على الليل. وهكذا في حركة دائبة: «يكون الليل على النهار ويكون النهار على الليل» واللفظ يرسم الشكل، ويحدد الموضع، ويعين نوع طبيعة الأرض وحركتها. وكروية الأرض ودورانها يفسران أدق من أي تفسير آخر لا يستصحب هذه النظرية.

في ظلال القرآن [٥/ ٣٠٣٨]

obeikandl.com

كرة، عطاء على قدر العقول، في الزمن الذي نزلت فيه، وفي عصرنا هذا. وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾[١] [البقرة: ١١٥].

لا يتعارض مع العقول في الوقت الذي نزل فيه القرآن.. فكل إنسان يرى أن هناك مشرقاً ومغرباً.

وقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾[٢] [الرحمن: ١٧].

يفهم منها المعاصرون لنزول القرآن أن هناك للشتاء مشرقاً ومغرباً، وللصيف مشرقاً ومغرباً، فإذا قال سبحانه: ﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾[٣] [المعارج: ٤٠].

فهم المعاصرون للنزول أن كل بلد له مشرق ومغرب، إذاً.. فهناك مشارق ومغارب، ولما كشف الله تعالى لنا شيئاً من العلم علمنا أن الشمس لها مشرق ومغرب كل يوم، والذي يرى معابد الفراعنة يجد أن هناك ٣٦٥ كوة، كل يوم

---

(١) قال القرطبي: المشرق موضع الشروق والمغرب موضع الغروب، أي: هما له مُلك، وما بينهما من الجهات والمخلوقات بالإيجاد والاختراع. وخصهما بالذكر والإضافة إليه تشريفاً؛ نحو بيت الله، وناقة الله؛ ولأن سبب الآية اقتضى ذلك.

تفسير القرطبي [٢/ ٧٩]

(٢) قال الماوردي: فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أن المشرقين مشرق الشمس في الشتاء والصيف، والمغربين مغرب الشمس في الشتاء والصيف، قاله ابن عباس.

الثاني: أن المشرقين مشرق الشمس والقمر، والمغربين مغربهما.

الثالث: أن المشرقين الفجر والشمس، والمغربين الشمس والغسق.

أغمض سهل بن عبد الله بقول رابع: أن المشرقين مشرق القلب واللسان، والمغربين مغرب القلب واللسان.

النكت والعيون [٥/ ٤٢٩]

(٣) قال ابن عطية: ﴿ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ هي مطالع الشمس والقمر وسائر الكواكب وحيث تغرب، لأنها مختلفة عند التفضيل، فلذلك جمع. وقرأ عبد الله بن مسلم وابن محيصن برب المشرق والمغرب على الإفراد، ومتى ورد «المشرق والمغرب» وهي عبارة عن موضع الشروق وموضع الغروب بجملته، وإن كان يتفصل بالصاد، ومتى ورد المشرقان والمغربان فهي عبارة عن طرفي موضع الشروق وطرفي موضع الغروب.

المحرر الوجيز [٥/ ٣٧١]

قال الشوكاني: يعني مشرق كل يوم من أيام السنة ومغربه.

فتح القدير [٥/ ٢٩٣]

obeikandl.com

تشرق الشمس من كوة، ولا تشرق من باقي الفتحات. والحقيقة أن الشمس لها في كل ثانية مشرق ومغرب، فهي في نفس الوقت الذي تشرق فيه على مكان تغرب فيه عن مكان آخر.

إذاً.. ففي كل واحد من ألف من الثانية تشرق الشمس على مكان، وفي كل واحد من ألف من الثانية تغيب الشمس عن مكان. في رمضان مثلاً نلاحظ أن لكل مدينة موعداً للغروب يختلف عن المدينة الأخرى، ففي القاهرة تغرب الشمس، وبعد دقيقة في بنها مثلاً وهكذا. وفي كل شبر من الأرض بين القاهرة وبنها هناك لحظة شروق ولحظة غروب. هذا تفسير لم تكن تطيقه العقول في الماضي، ولكنه عطاء جديد للقرآن يزداد مع الزمن، بحيث يكون هناك إعجاز لكل جيل، فإذا جاء إنسان وقال: كيف لم يعط القرآن قضايا الكون مباشرة؟ نقول لأن العقل لم يكن يطيقها وقت النزول. فكان الناس في هذه الحالة سينصرفون عن المنهج لأنه فوق قدرات عقولهم، ونكون قد شغلناهم بشيء لا يضر ولا ينفع، لنمنع عنهم منهجاً يضر وينفع. ولكن القرآن ـ وهذا إعجاز من الله ـ أعطى لكل جيل ما يطيقه العقل، بحيث وجد كل جيل في القرآن عطاء جديداً[1].

(١) وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

obeikandl.com